

نكتة تقتضيه، وفضل بيان يؤديه في الكلام، كما أن ذلك كله أيضا لا يمنع الاستطراد الطويل أن يكون في بعض الأحيان داعي ترويح، وباعث إقبال ونشاط؛ لما يصحبه من التنقل والتنويع، إذا عد في أحيان أخرى داعي اضطراب، وباعث فرقة وشتات لا يستطيع المرء معهما التتبع والاستيعاب من قريب.

وأكثر ما يكون الاستطراد في القصص الشعري انتقالا من الوصف، وربما كان انتقالا من غيره كذلك، ولكن حين الوصف أيضا، فإن كان من نسيب مثلا كان حين يصف الشارع صاحبه، ويشيد بمحاسنها.

فبينا تراه يصف ناقته مثلا، إذا به يشبهها بحيوان جلد من حيوان الصحراء كالثور الوحشي مثلا، ثم تراه يدع الحديث عن الناقة جانبا، ويصير إلى الحديث عن الثور الذي شبهها به، حديثا قصيرا أو طويلا، تتألف منه قصة مستقلة تدور حوادثها حوله، وتبين الكثير من أحواله المتصلة بالموضوع الأصيل.

ومن القصص القصيرة، قصة العقاب التي شبه بها امرؤ القيس فرسه، وقد رويها أنفا، ومنها قصة الحمار الوحشي الذي شبه به حاجب بن حبيب الأسد الناقة التي تمنى أن يبلغ بها دار صاحبه (1)، وقصة الدرة والبيضة، اللتين شبه بهما المخيل السعدي صاحبه، وستأتي بموضعها من هذا المقال إن شاء الله.

ومن القصص الطويلة قصة الدرة التي شبه بها الأعشى ميمون صاحبه، فذكر كيف خرج في طلبها أربعة غواصين اجتمعوا على صيدها، وإن اختلفوا لونا وأصلا وكيف أنهم تنازعوا الرياسة، ثم ما لبثوا أن ألقوا بها إلى رجل منهم، صلب العود، ثبت الجنان، فانطلقت بهم سفينة صخمة، كأنها الناقة تم خلقها، واستد طولها، تخوض بهم العباب، وتتخطى اللجج، شهرا في إثر شهر، حتى ساء ظنهم، وتطرق اليأس إليهم. ثم ألقى السفينة مراسيها، وانصب منها إلى البحر غواص طويل القامة، مقوس الظهر، قليل المال، سيء الحال، يمج من فيه الزيت كعادة الغواصين، ينشد درة هلك أبوه من قبله في طلبها، وانتصف النهار يغمره الماء،

* (هو امش) *

(1) المفضليات: 370.

